الأنوار ١١/١/٩٧

اضواء على الذات
غريب هو الكيان البشري!

اكثر ما يشغل التفكير الرصين هو الانسان، ذلك الكيان العظيم. والذي يتعاظم يومابعد يوم. غريب بتركيبته، غريب باطواره، يجمع بين الجد واللهو، بين الايجابي والسلبي، بين اللاهوت والناسوت!

اتطلع اليه يوما بمنظار البشر، فاراه كياناً معقداً، متشابكاً، ضائعاً... وانظر اليه يوماً اخر بمنظار الحياة فاراه كوناً شاملاً واضحاً. غريب هو هذا التناقض. اترى التناقض يكمن في الانسان، ام في الناظر الى الانسان؟

ادرك ان الانسان يحوي التناقضات، ففيه الحب والبغض، الهدوء والصخب، الحركة والسكون، الخوف والطمأنينة، الوعي واللاوعي... وفيه ايضاً الباطن والخفي!

لكني اعي ايضاً ان هناك جزءا بعيدا عن هذه الازدواجية ... لا اعرف مكانه بالضبط لكني اشعره من وراء حجب المادة، واستشفه من خلال ستار الكثافة!

هناك جزء لا تمسه تلك الازدواجية، ولم تدركه بعد، ولن تصله. لا ادري لماذا، او كيف، ولا اين؟! لكني اكيد من هذه الحقيقة.

افكر واغور بحثا في هذا الكائن، ولعل تفكيري الدائم هو ما ايقظ هذه التساؤلات الجديدة في نفسي:

ترى، اين تكمن المحبة الصافية والمعرفة الشاملة؟!

اين تقطن الالوهة؟ ومن اين يبثق نور الاله؟!

اين يقيم الاله في الانسان؟ واين تستمر الحياة بالعطاء؟

ايعقل ان يكون موئل الاله هو نفسه مسكن الحقد والكره؟ ام ان مصدر المحبة هو نفسه مصدر الخوف والتردد؟!

كيف للسمو ان يلتقي الخجل؟ وكيف للرفعة ان تعانق الضعة؟!

... بل كيف للارادة والعنفوان ان يتماشيا مع الشك والقلق؟!

لا اعتقد ان هذه الاضداد تتقابل.. والا لنشا صراع داخل كل انسان، صراع بين هذه المتناقضات التي لا تنتهي ... ولكان هذا الصراع قد ادى الى دمار الكيان.

اؤمن، بل اعلم علم اليقين، ان مسكن الصفات السامية هو غير مسكن الصفات التافهة والسلبية! فالانسان ما جبل من متناقضات الا ليعي الوحدة! فالنور لا يعرف انه نور الا اذا ما جاء بعد الظلام ... والمعرفة لا تدرك الا اذا قورنت بالجهل.

هذا هو الانسان، مجموعة من متناقضات تقوده الى الوحدة!

لكن اين مقر تلك الصفات السامية؟ اتراه سام لدرجة اننا لا نراه؟ اتراه يستقر في الذات الانسانية، ذلك الجزء السامي من الكيان البشري الذي لا يعرف التناقض، ولا يدرك معنى الازدواجية؟

واين مقر الذات؟ في اي قسم من الانسان؟ ... في اية جهة واي اتجاه؟!

غريبة هي الذات الانسانية. وغريب هو الكيان البشري!

رباه! ان كنت تقطن في الذات الانسانية، فلم لا نعيك؟ لم لا تشرق علينا ببهائك والوهيتك؟ اترانا ما زلنا بعيدين عن صفائك؟ اترانا ما زلنا بعيدين عن ذواتنا؟

ليتنا نعي ذواتنا فنشعر بدفئك، رباه.. متى نعرف انفسنا، فنعرف خالقها؟

المهندس جورج الحداد